

اعتنى به

أَبُو إِسْحَاق مَحْمُود بِن أَحْمَد الزُّوَيْد

غفر الله له ولوالديه والمسلمين





تَهَافُتُ مُدَعِي النُّبُوَةِ

النُّسخة الأولى

(١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م)





بسم الله الرحمن الرحيم





المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين، نبينا محمد ﷺ إلى يوم الدين؛ فهذا مقال مختصر أصله في كتاب (صيد الخاطر)[١] ، وكتاب (تلبيس إبليس)[٢] وكلاهما لأبي الفرج ابن الجوزي، وضمنته في هذه الأوراق، وسميته (تهافت مدعي النبوة)، و(تلبيس إبليس على جاحدي النبوات)، ليسهل على القارئ مطالعته، وطالب العلم معرفته والاستفادة منه، وأخذ العبرة مما فيه، والله الموفق المعين إلى سواء السبيل.

١- مع بعض حواشي محققه أحسن الله إليه، من طبعة دار القلم.

٢- طبعة مكتبة دار البيان.





قال ابن الجوزي رحمه الله (ت ٥٩٧ هـ): أمَّا النبوات، فإنَّه قد ادعاها خلق كثير، ظهرت قبائحهم، وبانت فضائحهم، ومنها ما توجبه خسة الهمة، والتهتك في الشهوات، والتهافت في الأقوال والأفعال، حتى افتضحوا.

[١] -فمنهم: **الأسود العنسي**. ادعى النبوة، ولقب نفسه ذا الخمار؛ لأنَّه كان يقول: يأتيني ذو الخمار[١]، وكان أول أمره كاهنًا يشعوذ، فيظهر الأعاجيب، فخرج في أواخر حياة النبي ﷺ، فكاتبته مذحج وواعد ونجران.

[٢] -ومنهم: **مسيلمة**. ادعى النبوة، وتسمَّى رحمانَ اليمامةِ؛ لأنَّه كان يقول: «الذي يأتيني رحمان!» فآمن برسول الله ﷺ، وادعى أنَّه قد أشرك معه! فالعجب أنَّه يؤمن برسول، ويقول: إنَّه كذاب! ثمَّ جاء بقرآن يضحك الناس، مثل قوله: «يا ضفدع بنت ضفدعينِ! نقي ما تنقين، أعلاكِ في الماء، وأسفلكِ في الطين». ومن العجائب: شاة سوداء، تحلب لبنًا أبيض! فاهتك ستره في هذه الفصاحة، ثمَّ مسح بيده على رأس صبي، فذهب شعره! وبصق في بئر، فيبست[٢].

١- قيل: لأنَّه كان يعتم بخمار.

٢- قلت: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في «شرح العقيدة السفارينية» (ص٦٤٣-٦٤٤)، والحاصل أن ما يحصل من الأمور الخارقة للعادة على يد هؤلاء الذين نسميهم أولياء الشيطان، هذا ليس بكرامة، بل هو إهانة. فصار الخارق للعادة إما آية، وأما كرامة، وأما إهانة، وأما فتنة.
والفتنة: ما يأتي من السحرة وشبههم، لأنهم يرون ذلك إكراماً لهم.
والإهانة: مثل ما يذكر عن مسيلمة الكذاب الذي ظهر في اليمامة، وادعى أنَّه نبي وذلك في آخر حياة النبي ﷺ، وأخذ بذلك قومه وجعلوه نبياً، وصار يعينه الشيطان في بعض الأمور، فيقال: إنَّهم جاءوا إليه في يوم من الأيام، وقالوا: يا أيُّها النبي، إن عندنا بئراً قد غار ماؤها، ولم يبق فيها إلا ماء قليل فنريد أن نتبرك بك، فذهب معهم وأخذ بعض الماء ليتمضمض به ويمجه في البئر ينتظر أن يرتفع ماؤه، فيقال إنَّه لما مج الماء في البئر غار الماء الموجود، فصار هذا خارقاً للعادة؛ لأنَّه ليس من العادة أن يتمضمض إنسان بماءٍ ثم إذا مجه ذهب ماؤه، فهذا خارق للعادة، لكنه إهانة، ودليل على كذبه.
وفي قصة أخرى يقال: إنه جيء إليه بغلام رأسه فيه قزع، يعني بعضه نبت وبعضه ما نبت، فقل له: أيُّها النبي، امسح على رأس هذا الغلام لعل الله يخرج بقية الشعر، فمسحه فزال الشعر الموجود، وهذا أيضاً إهانة، وهو خارق للعادة؛ لأنه لم تجر العادة أن إنساناً يمسح على شعر فيتحات..أهـ.

وتزوج سجاح التي ادعت النبوة، فقالوا: لا بدَّ لها من مهرٍ. فقال: «مهرها أنيِّ قد أسقطت عنكم صلاتي الفجر والعتمة!».

[٣]-وكانت **سجاح** هذه قد ادعت النُّبوة بعد موت رسول الله ﷺ، فاستجاب لها جماعة، فقالت: «أعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثمَّ اعبروا على الرباب، فليس دونهم حجاب، فقاتلوهم!».

ثمَّ قصدت اليمامة، فهابها مسيلمة، فراسلها، وأهدى لها، فحضرت عنده، فقالت: اقرأ علي ما يأتيك به جبريل! فقال: «إنكنَّ معشرَ النِّساءِ خلقتنَّ أفواجًا، وجعلتنَّ لنا أزواجًا، نولجه فيكن إيلاجًا». فقالت: صدقت، أنت نبي! فقال لها:

أَلَا قُومِي إِلَى المِخْدعِ ... فَقَدْ هُيِّئَ لَكِ الْمَضْجَعْ
وَإِنْ شِئْتِ سَلَقْنَاكِ[١] ... وَإِنْ شِئْتِ عَلَى أَرْبَعْ
وَإِنْ شِئْتِ بِثُلْثَيْهِ ... وَإِنْ شِئْتِ بِهِ أَجْمَعْ.

فقالت: «بل به أجمع، فهو للشمل أجمع!».

فافتضحت عند العقلاء من أصحابها، فقال منهم عطارد بن حاجب:

أضحت نبيتنا أنثى يطاف بها ... وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا
فلعنة الله رب الناس كلهم ... على سجاح ومن بالإفك أغوانا
أعني مسيلمة الكذاب لا سقيت ... أصداؤه من رعيثٍ حيثما كانا[٢].

ثمَّ إنهَّا رجعت عن غيها، وأسلمت، وما زالت تبين فضائح مسيلمة حتى قتل[٣].

١- والسلق الإلقاء على الظهر.
٢- انظر الإصابة (٤/٥٠٨)، و«الأعلام» للزركلي (٤/٢٣٦).
٣- قلت أبو إسحاق: ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/٤٥٩-٤٦٠)، فقال: كان مسيلمة، لعنه الله، شرع لمن اتبعه أن العزب يتزوج، فإذا ولد له ذكر فيحرم عليه النساء حينئذ، إلا أن يموت ذلك



[٤]-ومنهم: **طليحة بن خويلد**. خرج بعد دعوى مسيلمة النبوة، وتبعه عوام، ونزل سميراء[١]، فتسمى بذي النون، يقول: إنَّ الذي يأتيه، يقال له: ذو النون، وكان من كلامه: «إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم، ولا قبح أدباركم شيئًا، فاذكروا الله أعفة قيامًا!».

ومن قرآنه: «والحمام واليمام، والصرد[٢] الصوام، ليبلغنَّ ملكنا العراق والشام».

وتبعة عيينة بن حصن[٣]، فقاتله خالد بن الوليد، فجاء عيينةُ إلى طليحة، فقال: ويحك! أجاءك الملك؟

قال: لا، فارجع فقاتل، فقاتل، ثمَّ عاد، فقال: أجاءك؟

فقال: لا؛ فعاد فقاتل، ثمَّ عاد، فقال: أجاءك؟

فقال: لا، فعاد فقاتل، ثمَّ عاد، فقال: أجاءك؟

الولد الذكر، فتحل له النساء حتى يولد له ذكر، هذا مما اقترحه، لعنه الله، من تلقاء نفسه. ويقال: إنَّه لما خلا بسجاح سألها ماذا يوحى إليها؟ فقالت: وهل يكون النساء يبتدئن؟ بل أنت ماذا أوحي إليك؟ فقال: ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشا. قالت: وماذا؟ فقال: إنَّ الله خلق.
النساء أفراجًا، وجعل الرجال لهن أزواجًا، فنولج فيهن قعسا إيلاجًا، ثمَّ نخرجها إذا نشاء إخراجًا، فينتجن لنا سخَالا إنتاجًا، فقالت: أشهد أنَّك نبي. فقال لها: هل لك أن أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب؟ قالت: نعم. فقال:

أَلَا قُومِي إِلَى النَّيْكِ ... فَقَدْ هُيِّئَ لَكِ الْمَضْجَعْ
فَإِنْ شِئْتِ فَفِي الْبَيْتِ ... وَإِنْ شِئْتِ فَفِي الْمَخْدَعْ
وَإِنْ شِئْتِ سَلَقْنَاكِ ... وَإِنْ شِئْتِ عَلَى أَرْبَعْ
وَإِنْ شِئْتِ بِثُلْثَيْهِ ... وَإِنْ شِئْتِ بِهِ أَجْمَعْ.

١- سميراء: منزل من منازل الطريق من الوافد إلى مكة، ويقع في ديار بني أسد.
٢- طائر ضخم الرأس والمنقار، أبيض البطن، أخضر الظهر، له برثن، ويصطاد صغار الطير، وكانوا يتشاءمون به.
٣- أسلم قبل الفتح، وشهد حنينًا والطائف، وكان من المؤلفة قلوبهم، ثم ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، ثم عاد إلى الإسلام، وعاش إلى خلافة عثمان رضي الله عنه.

قال: نعم!

قال: ما قال لك؟

قال: قال: «إنَّ لك رحى كرحاه وحديثًا لا تنساه». فصاح عيينة: «الرجل واللهِ كذاب». فانصرف الناس منهزمين، وهرب طليحة إلى الشام، ثم أسلم، وصح إسلامه، وقتل بنهاوند(١).

[٥]-وذكر الواقدي: أنَّ **رجلًا من بني يربوع يقال له: جندب بن كلثوم**، كان يلقب كردانًا، ادعى النبوة على عهد رسول الله ﷺ، وكان يزعم أنَّ دليلة على نبوته أنْ يسرج(٢) مسامير الحديد والطين!! وهذا؛ لأنَّه كان يطلي ذلك بدهن البيلسان(٣)، فتعمل فيه النار.

[٦]-وقد تنبأ رجل يقال له **كهمس الكلابي**، وكان يزعم أنَّ الله تعالى أوحى إليه: «يا أيُّها الجائع! اشرب لبنًا تشبع، ولا تضرب الذي لا ينفع؛ فإنَّه ليس بمقنع!!».

وزعم أنَّ دليله على نبوته أنَّه يطرح بين السباع الضارية فلا تأكله، وحيلته في ذلك: أنَّه يأخذ دهن الغار(٤) وحجر البرسان، وقنفذًا محرقًا، وزبد البحر،

١- قلت: قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٣١٧/١): البطل الكرار، صاحب رسول الله ﷺ ومن يضرب بشجاعته المثل.

كتب عمر رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنْ شاور طليحة في أمر الحرب، ولا توله شيئًا.

قال محمد بن سعد: «كان طليحة يعد بألف فارس لشجاعته وشدته».

قلت -الذهبي-: أبلى يوم نهاوند، ثم استشهد رضي الله عنه وسامحه. أهـ.

٢- يسرج: يضيء.

٣- البيلسان: شجر له زهر أبيض صغير بهيئة العناقيد، وهو من الفصيلة البخورية، ويستخرج من بعض أنواعه عطر.

٤- شجر ينبت بريًا في سواحل الشام وجبالها، طيب الرائحة، ورقة دائم الاخضرار، وخشبة صلب، وعطر، وله حمل أصغر من البندق أسود يستخرج منه زيت، وكانوا يضفرون أوراقه أكاليل يتوجون بها المنتصرين في الحروب.

وصدفًا محرقًا مسحوقًا، وشيئًا من الصبر[1] والخبط[2]، فيطلي به جسمه؛ فإذا قربت منه السباع، فشمت تلك الأرياح[3] وذفورتها[4]؛ نفرت.

[٧]-وتنبأ بالطائف رجل يقال له: **أبو جعوانة العامري**، وزعم أنَّ دليله أنَّه يطرح النَّار في القطنِ فلا يحترق؛ وهذا لأنَّه يدهنه بدهن معروف[5].

[٨]-ومنهم **هذيل بن يعفور**، من بني سعد بن زهير، حكى عنه الأصمعي أنَّه عارض سورة الإخلاص، فقال: «قل هو الله أحد، إله كالأسد، جالس على الرصد، لا يفوته أحد».

١- عصارة شجر مر تستعمل في الطب.

٢- الخبط: وهو ورق مطحون ومخلوط بالدقيق «القاموس».

٣- الأرياح: الروائح.

٤- ذفورتها: رائحتها.

٥- قلت أبو إسحاق وهذه حيل معروفة، أساسها موجود في معارض النبوة وفي مدعي النبوة، وفي أصحاب الزندقة.

فإنَّك لا تجد من يدعي النبوة إلا ويحتال لمثل هذا، أو من يعارضها كالنمرود وفرعون كما في قصصهم التي يضحك منها الصبيان، أو الزنادقة كالجعد بن درهم، كما جاء في «لسان الميزان» لابن حجر (٢/١٠٥). أنَّه جعل في قارورة ترابًا وماء؛ فاستحال دودًا وهوام.

فقال: أنا خلقت هذا؛ لأنِّي كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد فقال: ليقل كم هو؟ وكم الذكران منه والإناث؟.

ومن تلك الحيل ما ذكره شيخ الإسلام كما في « مجموع الفتاوى» (مناظرته لدجاجلة البطائحية) (١١/٤٥٩-٤٦٠)، وفيها يقول: قلت للأمير: أنا ما امتحنت هؤلاء؛ لكن هم يزعمون أنَّ لهم أحوالًا يدخلون بها النار، وأنَّ أهل الشريعة لا يقدرون على ذلك، ويقولون لنا: هذه الأحوال التي يعجز عنها أهل الشرع ليس لهم أن يعترضوا علينا؛ بل يسلم إلينا ما نحن عليه -سواء وافق الشرع أو خالفه- وأنا قد استخرت الله سبحانه أنَّهم إنْ دخلوا النَّار أدخل أنا وهم، ومن احترق منَّا ومنهم فعليه لعنة الله، وكان مغلوبًا، وذلك بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار.

فقال الأمير: ولِم ذاك؟

قلت: لأنَّهم يطلون جسومهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع، وباطن قشر النارنج، وحجر الطلق، وغير ذلك من الحيل المعروفة لهم. وأنا لا أطلي جلدي بشيء فإذا اغتسلت أنا وهم بالخل والماء الحار بطلت الحيلة، وظهر الحق. فاستعظم الأمير هجومي على النار، وقال: أتفعل ذلك؟

فقلت له: نعم! قد استخرت الله في ذلك، وألقى في قلبي أن أفعله، ونحن لا نرى هذا وأمثاله ابتداء...



[٩]-ومنهم **هذيل بن واسع**، كان يزعم أنَّه من ولد النابغة الذبياني[١]، عارض سورة الكوثر، فقال له رجل: ما قلت؟ فقال: «إنَّا أعطيناك الجواهر، فصل لربك وجاهر، فما يؤذيك إلا كل فاجر»؛ فظهر عليه القسري[٢]، فقتله، وصلبه على العمود، فعبر عليه الرجل، فقال: «إنا أعطيناك العمود، فصل لربك من قعود، بلا ركوع ولا سجود، فما أراك تعود».

[١٠]-وممن ظهر فادعى أنَّه يوحي إليه **المختار بن أبي عبيد**[٣]، وكان متخبِّطًا في دعواه، وقتل خلقًا كثيرًا، وكان يزعم أنَّه ينصر الحسين رضي الله عنه، ثمَّ قتل.

[١١]-ومنهم: **حنظلة بن يزيد الكوفي**. كان يزعم أنَّ دليله أنَّه يدخل البيضة في القنينة، ويخرجها منها صحيحة! وذاك أنَّه كان ينقع البيضة في الخل الحامض، فيلين قشرها، ثمَّ يصب ماء في قنينة، ثمَّ يدس البيضة فيها، فإذا لقيت الماء، صلبت.

[١٢]-وقد تنبأ أقوام قبل نبينا ﷺ **كزرادشت، وماني** وافتضحوا. وما من المدعين إلا وقد خذل.

[١٣]-وقد **جاءت القرامطة(٤) بحيل عجيبة**، وقد ذكرت جمهور هؤلاء

١- زياد بن معاوية الذبياني الغطفاني المضري أبو أمامة، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، توفي سنة «١٨» قبل الهجرة.
٢- هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري البجلي، أبو الهيثم «٦٦-١٢٦هـ» أمير العراقين للأمويين، وأحد خطباء العرب وأجوادهم.
٣- الثقفي الكذاب، ادعى أن الوحي يأتيه، وأنه يعلم الغيب قتل سنة «٦٧هـ».
٤- القرامطة: فرقة من الإسماعيلية الباطنية تنتسب إلى حمدان قرمط، نشطت في سواد العراق ابتداء من سنة «٢٥٨ هـ»، وجمع حوله كثيرًا من الرعاع، وأظهر الكفر والإلحاد، واشتهر أمره حتى مقتله على يد المكتفي العباسي سنة «٢٩٣هـ»؛ لكن بعض أتباعه رحل إلى البحرين فأسس دولة رأسها أبو سعيد الجنابي واجتاحوا مكة أثناء موسم الحج سنة «٣١٧هـ» فقتلوا الحجيج، وقلعوا الحجر الأسود، وأخذوه إلى البحرين حتى مزق الله دولتهم وشتت شملهم سنة «٣٣٩هـ» وأعيد الحجر الأسود إلى مكانه، وقد أفاض المؤلف في بيان أخبارهم في تاريخه «المنتظم» واستلها منه الدكتور محمد الصباغ

وحيلهم في كتابي التاريخ المسمى بـ «المنتظم»، وما فيهم من يتم له أمر؛ إلا ويفتضح.

(نبينا صلوات الله وسلامه عليه)

ودليل صحة نبوة نبينا ﷺ أجلى من الشمس: فإنَّه ظهر فقيرًا، والخلق أعداؤه؛ فوعد بالملك فملك، وأخبر بما سيكون فكان.

وصين[1] من زمن النبوة عن الشره، وخساسة الهمة، والكذب والكبر، وأيد بالثقة والأمانة والنَّزاهة والعفة، وظهرت معجزاته للبعيد والقريب.

وأنزل عليه الكتاب العزيز، الذي حارت فيه عقول الفصحاء، ولم يقدروا على الإتيان بآية تشبهه، فضلًا عن سورة، وقد قال قائلهم وافتضح، ثمَّ أخبر أنَّه لا يعارض فيه، فكان كما قال، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، وكذلك قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٤-٩٥]، فما تمناه أحد، إذ لو قال قائل: قد تمنيته، لبطلت دعواه.

وكان يقول ليلة غزاة بدر: «غدًا مصرع فلان هاهنا»، فلا يتعداه. وقال: «إذا هلك كسرى، فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر، فلا قيصر بعده»، فما ملك بعدهما من له كبير قدر، ولا من استتب له حال.

وطبعها في رسالة مفردة.

١- يعني: حفظ.




ومن أعظم دليل على صدقه أنَّه لم يرد الدنيا، فكان يبيت جائعًا، ويؤثر إذا وجد، ويلبس الصوف، ويقوم الليل؛ وإنَّما تطلب النواميس لاجتلاب الشهوات، فلما لم يردها، دلَّ على أنَّه يدل على الآخرة التي هي حق.

ثمَّ لم يزل دينه يعلو حتى عمَّ الدنيا، وإن كان الكفر في زوايا الأرض؛ إلا أنَّه مخذول.

وصار في تابعيه من أمته الفقهاء، الذين لو سمع كلامهم الأنبياء القدماء، تحيروا في حسن استخراجهم، والزهاد الذين لو رآهم الرهبان، تحيروا في صدق زهدهم، والفطناء الذين لا نظير لهم في القدماء.

أوليس قوم موسى يعبدون بقرة، ويتوقفون في ذبح بقرة، ويعبرون البحر، ثمَّ يقولون: اجعل لنا إلهًا؟! وقوم عيسى يدخرون من المائدة، وقد نهوا؟! والمعتدون في السبت يعصون الله لأجل الحيتان؟! وأمتنا بحمد الله تعالى سليمة من هذه الأشياء؛ وإنَّما في بعضها ميل إلى الشهوات المنهي عنها، وذلك من الفروع لا من الأصول؛ فإذا ذكروا، بكوا وندموا على تفريطهم. فنحمد الله على هذا الدين، وعلى أنَّنا من أمَّةِ هذا الرسول ﷺ.

وقد كان جماعةٌ من المتصنعينَ بالزهدِ مالوا إلى طلب الدنيا والرئاسة، فاستغواهم الهوى، فخرقوا بإظهار ما يشبه الكراماتِ، كالحلاج وابن الشباس[١]. وغيرهما ممَّن ذكرت حال تلبيسه في كتاب «تلبيس إبليس»؛ وإنَّما فعلوا ذلك لاختلاف أغراضهم.

١- ثبت في طبعة مدار الوطن بتحقيق الشيخ طارق عوض الله (ابن الشاش).
وفي طبعة دار القلم (الشباس) وأثبته، وقال محققه: ابن الشباس: أبو عبد الله بن علي الحسين البغدادي، توفي في البصرة سنة (٤٤٤ هـ) أخباره في المنتظم، وقد وقع في الأصل: «ابن الشاش» والتصويب من «تلبيس إبليس».

ولم يزل الله ينشئ في هذا الدين من الفقهاء من يظهر ما أخفاه القاصرون، كما ينشئ من علماء الحديث من يهتك ما أشاعه الواضعون، حفظًا لهذا الدين، ودفعًا للشبهات عنه، فلا يزال الفقيه والمحدث يظهران عوار كل ملبس بوضع حديث، أو بإظهار دعوى تزهد وتنميس، فلا يؤثر ما ادعياه؛ إلا عند جاهل بعيد من العلم والعمل. ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨][١].

١- قلت: ولأهل الحديث فضل ومزية، وللإسناد مكانة وجللة في حفظ الدين، وقد كتبت فيهما جزئين يسر الله نشرهما، **وأذكر بأوجز الاختصار من ذلك:**
(١)-قول إياس بن معاوية: «إنَّ للحديثِ فرسانًا كفرسانِ الخيل» الكامل لابن عدي (١/٢٥٠).
(٢)-وقال إبراهيم بن الحسين, خالي يقول: كنَّا على باب عفان أنا وأحمد ويحيى بن معين وأبو خيثمة, وعد جماعة, فجاء غلام فقال ليحيى بن معين: انظر إلى هذا الحديث الموضوع, فقال يحيى: «إنَّ للعلم شبابًا ينتقدون العلم» الكفاية في أصول علم الرواية للخطيب (١/١٤٦).
(٣)-وقال إلكيا الهراسي: «إذا جالت فرسانُ الأحاديث في ميادين الكفاحِ، طارت رؤوس المقاييس في مهابِّ الرياح» طبقات الشافعية (٧/٢٣٢).
(٤)- وقال صالح بن أحمد الحافظ سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول: «بلغني أنَّ الله خصَّ هذه الأمة بثلاثةِ أشياءٍ لم يعطها من قبلها: الإسناد، والأنساب، والإعراب». شرف أصحاب الحديث (٧١) (ص٦٥).



(تلبيس إبليس على جاحدي النبوات)

قال ابن الجوزي: قد لبس إبليس على البراهمة والهندوس وغيرهم، فزين لهم جحد النبوات ليسد طريق ما يصل من الإله.

وقد اختلف أهل الهند فمنهم دهرية، ومنهم ثنوية، ومنهم على مذاهب البراهمة، ومنهم من يعتقد نبوة آدم وإبراهيم فقط.

وقد حكى أبو محمد النوبختي في كتاب «الآراء والديانات» أنَّ قومًا من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار، وزعموا أنَّ رسولهم ملك أتاهم في صورة البشر من غير كتاب له أربعة أيد، واثنتا عشر رأسًا من ذلك: رأس إنسان ورأس أسد، ورأس فرس، ورأس فيل، ورأس خنزير، وغير ذلك من رؤوس الحيوانات. وأنَّه أمرهم بتعظيم النَّار ونهاهم عن القتل والذبائح إلا ما كان للنار، ونهاهم عن الكذب، وشرب الخمر، وأباح لهم الزنا، وأمرهم أن يعبدوا البقر، ومن ارتد منهم ثمَّ رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه، ثمَّ يذهب فيسجد للبقر في هذيانات يضيع الزمان بذكرها.

قال ابن الجوزي: وقد ألقى إبليس إلى البراهمة ست شبهات:

الشبهة الأولى: استبعاد اطلاع بعضهم على ما خفي عن بعض، فقالوا: ﴿مَا هَـٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ والمعنى: وكيف أطلع على ما خفي عنكم.

وجواب هذه الشبهة: أنَّهم لو ناطقوا العقول لأجازت اختيار شخص بشخص لخصائص يعلو بها على أبناءِ جنسه، فيصلح بتلك الخصائص لتلقف الوحي، إذ ليس كل أحد يصلح لذلك، وقد علم الكلُّ أنَّ الله سبحانه وتعالى ركب الأمزجة متفاوتة، وأخرج إلى الوجود أدوية تقاوم ما يعرض من الفساد البدني. فإذا أمد النبات

والأحجار بخواص لإصلاح أبدان خلقت للفناء ههنا وللبقاء في دار الآخرة، لم يبعد أن يخص شخصًا من خلقه بالحكمة البالغة، والدعاية إليه، إصلاحًا لمن يفسد في العالم بسوء الأخلاق والأفعال.

ومعلوم أنَّ المخالفين لا يستنكرون أن يختص أقوام بالحكمة ليسكنوا فورات الطباع الشريرة بالموعظة، فكيف ينكرون أمداد الباري سبحانه بعض الناس برسائل ومصالح ووصايا يصلح بها العالم، ويطيب أخلاقهم، ويقيم بها سياستهم، وقد أشار عز وجل إلى ذلك: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ . [يونس: ٢].

الشبهة الثانية: قالوا هلا أرسل ملكًا؟ فإنَّ الملائكة إليه أقرب، ومن الشك فيهم أبعد، والآدميون يحبون الرياسة على جنسهم فيوقع هذا شكًا.

وجواب هذا من ثلاثةِ أوجه:

أحدهما: أنَّ في قوى الملائكة قلب الجبال والصخور، فلا يمكن إظهار معجزة تدل على صدقهم؛ لأن المعجزة ما خرقت العادة، وهذه عادة الملائكة، وإنَّما المعجزات الظاهرة ما ظهرت على يد بشر ضعيف ليكون دليلًا على صدقه.

والثاني: أنَّ الجنس إلى الجنس أميل، فصح أن يرسل إليهم من جنسهم، لئلا ينفروا وليعقلوا عنه، ثمَّ تخصيص ذلك الجنس بما عجز عنه دليل على صدقه.

والثالث: أنَّه ليس في قوى البشر رؤية الملك، وإنَّما الله تعالى يقوي الأنبياء بما يرزقهم من إدراك الملائكة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾ أي لينظروا إليه ويأنسوا به، ويفهموا عنه. ثمَّ قال: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا

يدرون أملك هو أم آدمي؟.

الشبهة الثالثة: قالوا نرى ما تدعيه الأنبياء من علم الغيب والمعجزات، وما يلقى إليهم من الوحي يظهر جنسه على الكهنة والسحرة، فلم يبق لنا دليل نفرق به بين الصحيح والفاسد.

والجواب: أنْ نقول: إنَّ الله تبارك وتعالى بيَّن الحجج، وبث الشبهة وكلف العقول الفرق، فلا يقدر ساحر أن يحيي ميتًا ولا أن يخرج من عصا حية، وأمَّا الكاهن فقد يصيب ويخطئ بخلاف النبوة التي لا خطأ فيها بوجه.

الشبهة الرابعة: قالوا: لا يخلوا إمَّا أن تجيء الأنبياء بما يوافق العقل أَوْ بما يخالفه أو يخالطه، فَإِن جاءوا بما يخالفه لم يقبل، وإن جاءوا بما يوافقه فالعقل يغني عنه.

والجواب: أنْ نقول: قد ثبت أنَّ كثيرًا من النَّاسِ يعجزون عَنْ سياسات الدنيا حتى يحتاجون إِلَى متمم كالحكماء والسلاطين، فكيف بأمور الإلهية والأخروية؟.

الشبهة الخامسة: قالوا: قد جاءت الشرائع بأشياء ينفر منها العقل فكيف يجوز أن تكون صحيحة؟ من ذلك إيلام الحيوان.

والجواب: أنَّ العقل ينكر إيلام الحيوان بعضه لبعض، فأمَّا إذا حكم الخالق بالإيلام لم يبق للعقل اعتراض، وبيان ذلك أنَّ العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه وتعالى وأنَّه لا خلل فيها ولا نقص، فأوجبت عَلَيْهِ هذه المعرفة التسليم لما خفي عنه، ومتى اشتبه علينا أمر فِي فرع لم يجز أن نحكم عَلَى الأصل بالبطلان، ثمَّ قد ظهرت حكمة ذلك، فإنَّا نعلم أنَّ الحيوان يفضل عَلَى الجماد، ثمَّ النَّاطقُ أفضل ممَّا ليس بناطقٍ، بما أوتي من الفهم والفطنة والقوى النظرية والعملية.

وحاجة هَذَا الناطق إِلَى إبقاء فهمه، ولا يقوم فِي إبقاء القوى مقام اللحم شيء،

ولا يستطرف تناول القوي الضعيف، وما فيه فائدة عظيمة لما قلّت فائدته. وإنَّما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم، فلو لم يذبح لكثر وضاق به المرعى ومات، فيتأذى الحيوان الكريم بجيفته فلم يكن لإيجاده فائدة. وأمَّا ألم الذبح فانَّه يستر. وَقَدْ قيل: أنَّه لا يوجد أصلًا؛ لأنَّ الإحساس بالألم فِي أغشية الدماغ، لأنَّ فيه الأعضاء الحساسة، ولذلك إذا أصابها آفة من صرع أَوْ سكتة لم يحس الإنسان بألم، فَإِذَا قطعت الأوداج سريعًا لم يصل ألم الجسم إِلَى محل الحس، ولهذا قَالَ ﷺ: «إذا ذبح أحدكم فليحد شفرته وليرح ذبيحته»(١).

الشبهة السادسة: قالوا: ربَّما يكون أهل الشرائع قد ظفروا بخواص من حجارةٍ وخشب

فالجواب: أنَّ هَـذَا كلامٌ ينبغي أن يُستحى من إيراده، فإنَّه لم يبقَ شيء من العقاقير والأحجار إلا وَقَدْ وضحت خواصها وبان سترها، فلو ظفر واحد منهم بشيءٍ وأظهر خاصيته لوقع الإنكار من العلماء بتلك الخواص، وقالوا: ليس هَذَا منك إنَّما هذه خاصية فِي هَذَا. ثمَّ إنَّ المعجزات ليست نوعًا واحدًا، بل هي بين صخرة خرجت منها ناقة، وعصا انقلبت حية، وحجر تفجر عيونًا، وهذا القرآن الذي لَهُ منذ نزل دون الستمائة سنة(٢)، فالأسماع تدركه، والأفكار تتدبره، والتحدي به عَلَى الدوام، ولم يقدر أحد عَلَى مداناة سورة مِنْهُ، فأين هَذَا والخاصة والسحر والشعبذة.

قال أَبُو الوفاء عَلِيّ بْن عقيل رضي الله عنه: صبئت قلوب أهل الإلحاد لانتشار كلمةالحق

١- رواه مسلم في «صحيحه» (١٩٥٥)، وغيره من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.
٢- هذا في عصر المؤلف، فكم هو اليوم في زماننا ونحن في عام (١٤٤٤هـ)؟.



وثبوت الشرائع بين الخلق والامتثال لأوامرها، كابن الراوندي[١] ومن شاكله كأبي العلاء ثمَّ مَعَ ذلك لا يرون لمقالتهم نباهة ولا أثرًا، بل الجوامع تتدفق زحامًا، والآذانات تملأ أسماعهم بالتعظيم لشأن النبي والإقرار بما جاء به، وإنفاقِ الأموال والأنفس فِي الحج مَعَ ركوب الأخطار، ومعاناة الأسفار، ومفارقة الأهل والأولاد، فجعل بعضهم يندس فِي أهل النقل، فيضع المفاسد عَلَى الأسانيد ويضع السير والأخبار، وبعضهم يروي مَا يقارب المعجزات من ذكر خواص فِي أحجار وخوارق العادات فِي بعض البلاد، وأخبار عَن الغيوب عَنْ كثير من الكهنة والمنجمين، ويبالغ فِي تقرير ذلك حتى قالوا: إنَّ سطيحًا[٢] قَالَ فِي الخبيء الذي خبئ لَهُ: حبة بر، فِي إحليل مهر. والأسود[٣] كان يعظ ويقول الشيء قبل كونه.

وههنا الْيَوْم معزمون يكلمون الجني الذي فِي باطن المجنون، فيكلمهم بما كان ويكون، وما شاكل ذلك من الخرافات، فمن رأى مثل هَذَا قَالَ بقلة عقله، وقلة تلمحه لقصد هؤلاء الملحدة: وهل مَا جاءت به النبوات إلا مقارب هَذَا؟ وليس قول الكاهن: حبة بر فِي إحليل مهر، وَقَدْ أخفيت كل الاخفاء بأكثر من قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

١- أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين بن الراوندي. نسبة إلى قرية ببلاد قاسان ثم نشأ ببغداد، كان بها يصنف الكتب في الزندقة، وكانت لديه فضيلة، لكنه استعملها فيما يضره ولا ينفعه في الدنيا والآخرة. كما في «البداية والنهاية» (١٤/٤٤٢).

٢- واسم سطيح: ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن غسان. وكانت العرب تقول له: الذئبي.

ويروى عن وهب بن منبه، أنَّه قال: قيل لسطيح أنى لك هذا العلم؟ قال: لي صاحب من الجنِّ استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلَّم الله تعالى منه موسى عليه السلام، فهو يؤدي إليَّ من ذلك ما يؤديه.

٣- هو الأسود العنسي الكذاب، مدعي النبوة.

وهل بقي لهذا وقع فِي القلوب، وهذا التقويم ينطق بالمنع من الركوب الْيَوْم، وهل ترك تلمح هَذَا إلا الغبي[1].

وَاللَّه مَا قصدوا بذلك إلا قصدًا ظاهرًا، ولمحوا إلا لمحًا جليًا، فقالوا: تعالوا نكثر الجولان فِي البلاد والأشخاص والنجوم والخواص، فلا يخلو مَعَ الكثرة من مصادفة الاتفاق لواحدة من هذه، فيصدق بِهَا الكل ويبطل أن يكون مَا جاء به الأنبياء خرقًا للعاداتِ، ثمَّ دسَّ قومٌ من الصوفيَّة أنَّ فلانًا أهوى بإنائه إِلَى دجلة فامتلأ ذهبًا، فصار هَذَا كالعادة بطريق الكرامات من المتصوفين، وبطريق العادات فِي حق المنجمين، وبطريق الخواص فِي حق الطبائعيين، وبطريق الكهانة فِي حق المعزَّمين والعرافين.

فأي حكم بقي لقول عِيسَى عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وأي خرق بقي للعادات؟ وهل العادات إلا استمرار الوجود، وكثرة الحصول، فَإِذَا نبههم العاقل المتدين عَلَى مَا فِي هَذَا من الفساد. قَالَ الصوفي: أتنكر كرامات الأولياء؟

وقال أهل الخواص: أتنكر المغناطيس الذي يجذب الحديد والنعامة تبلع النَّار فتسكت عن جحد ما لم يكن لأجل ما كان، فويل للمحق معهم، هذا والباطنية من جانب والمنجمون من جانب مع أرباب المناصب لا يحلون ولا يعقدون إلا بقولهم. فسبحان من يحفظ هذه الملة ويعلي كلمتها، حتى إنَّ كل الطوائف تحبُّ قهرها إقبالًا من الله عز وجل على حراسة النبوات، وقمعًا لأهل المحالِ.

١- في نسخة دار فكر (النبي!!).



